التحولات العمرانية في مراكز المدن المقدسة

(مدينة النجف الاشرف إنموذجاً)

بهجت رشاد شاهين
جامعة بغداد – كلية الهندسة

حسن حيدر عبد الرزاق كمونة
ماجستير هندسة معمارية – بيئة وتكنولوجيا

المستخلص

تعد التحولات العمرانية من القضايا المهمة التي شغلت العاملين في حقل العمارة وتصميم المدن . وان مراكز المدن المقدسة الاسلامية قد تأثرت وبشكل واضح وكبير بالتحولات الناتجة عن ازدياد الحاجات الانسانية والتقدم الحضاري والتكنولوجي (الغير مدروس) .

وتظهر مشكلة البحث بصورة جلية في عملية التطور والتوسع للمدن المقدسة التي تمر في مرحلة صعبة بالنسبة لنسيجها التقليدي من جراء ما اصابها من تمزق في نسيجها وتحولها الى نسيج مفكك بعيداً عن نمط العمارة العربية الاسلامية التقليدية وذلك من خلال ادخال عناصر غريبة من الطرز والتفاصيل المعمارية غير الملائمة مع النسيج العمراني التقليدي .

ان عدم وجود وعي عام للمحافظة على الابنية والمدن التاريخية المقدسة سواء عند الافراد او المجتمع او دوائر الدولة هو أساس المشكلة ، وتوصل البحث الى ان الحل يأتي من خلال مواجهة هذا التيار الجارف لعملية التحضر المفرط والتحول السريع الذي رافقه نبذ للاشكال والصيغ العمرانية التقليدية والتوجه نحو اقتباس المفاهيم الغربية دون تحسس لطبيعة الموروث الحضاري والمعماري للمدن المقدسة وامكانية ترابط هذه المفاهيم مع الواقع القائم .

وانطلاقاً من ذلك جاءت اهمية القيام بدراسة المركز التاريخي لمدينة النجف الأشرف حتى نتمكن من المحافظة على هويتها وشخصيتها التاريخية ذات الطابع الديني المميز للاجيال القادمة كنموذج للمدن المقدسة ذات طابع العمارة الأسلامية التقليدية .

وقد قسم البحث الى محورين رئيسيين المحور الاول يدرس مفهوم التحولات عموماً والمحور الثاني يدرس التحولات في المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف القديمة .

Architectural Transformations in Holy Cities Center

" The holy city of Najaf as model "

ABSTRACT

The Architectural transformations is one of important issues that have held thought the workers in the field of architecture and design of cities, The Center of Holy Islamic Cities are affected clearly & changes caused by Increased humanitarian needs and the progress of civilization and from technology inputs.

The research shows the problem very clearly in the process of development and expansion of the holy cities undergoing a difficult period for the traditional fabric as a result of the hit torn fabric and turn them into the fabric of disassembled away from the pattern of the traditional Arab-Islamic architecture, through the introduction of Extraneous elements of style and architectural details compatible with third-traditional urban fabric.
The absence of a public awareness to preserve the historic buildings and the holy cities both at the individual or society or government departments are the basis of the problem,
The search find a solution that comes through the face of this overwhelming power over the process of urbanization and the rapid transformation of non-accompanied versions of the forms of traditional physical and the trend towards western concepts without quotation sensitivity to the nature of cultural and architectural heritage of the holy cities and the possibility of the interdependence of these concepts with reality.
Based on this study was the importance of the historical center of the city of Najaf so that we can preserve the historical identity and personality of a religious nature as a unique model for future generations holy cities of a traditional Islamic architecture.
The research is divided into two main parts , the first part studied the transformations , the second part studied the transformations in the historical center of the old city of Holy Najaf.

الكلمات الرئيسية :

التحولات العمرانية ، المدن المقدسة ، النسيج التقليدي ، مرحلة صعبة ، نموذج الاجيال القادمة .

المحور الاول :

التحولات في المدينة

*** التحولات كمفهوم : (Transformation)**

تعتبر التحولات من القضايا المهمة التي شغلت اغلب العاملين في مجال العمارة حيث يصف الكاتب (Anthony) في كتابه بان التحولات هي عملية تغيير في العمارة كنتيجة ديناميكية داخلية وخارجية . فالتحولات تعبر عن عملية تغيير بشكل تجعله يصل الى اعلى حالات الاستجابة لتأثير تلك الديناميكية . (Anthony , 1996 , P.66)

ويعرف (د. حيدر كمونة) التحول على انه التغير الى حالة مختلفة نتيجة فعل ما يقتضي تغيير عنصر (او اكثر) موجود ضمن تكوين ما أو ازالته ، او اضافة عنصر جديد او اكثر اليه . مما يؤدي الى خلق علاقات جديدة بين العناصر الموجودة اصلاً من جهة ، وبينها وبين العنصر او العناصر التي تسبب التحول من جهة اخرى ، سواء اكانت هذه العناصر ذات طبيعة مادية ام معنوية ... الحالة الجديدة شأنها شأن الحالة القديمة قد تتصف بالاستقرار وقد لا تتصف . ويمكن لهذا التحول ان يكون تدريجياً بحيث يمثل جزءاً من التطور الطبيعي للحالة القائمة ، او يكون مفاجئاً فيتخذ طابع المواجهة العنيفة التي قد يصعب تقبلها ... في البداية على الاقل . (حيدر ، 2007 ، ص174–175)

وعليه يمكن تعريف التحول بعامة على أنه التغير الى حالة مختلفة نتيجة فعل ما يقضي تغيراً او ازالة عنصر او اكثر ضمن تكوين ما او اضافة عنصر جديد او اكثر اليه ، مما يؤدي الى خلق علاقات

جديدة بين العناصر الموجودة اصلاً من جهة والعناصر التي تسبب التحول من جهة اخرى .

*** التحولات في المدن التقليدية :**

خلال ثلاثة او اربعة عقود مضت كان مقياس سرعة التحول العمراني في معظم المدن العربية مذهلاً ، فلقد اثر الرفاه المادي والتكنولوجي المتقدم بعمق في المشهد العمراني للمدن مؤثراً بذلك في معظم الخصائص المادية والقيم الاجتماعية والتوسع الحضري للمدن العربية الاسلامية .

ان معظم التحولات الحالية للعديد من المدن التقليدية ومدينة النجف واحد منها كان يتركز على المرور والشوارع المستقيمة التي تدمر في اغلب الاحيان نسيج المدينة التقليدية فضلاً عن فتح ساحات عامة كبيرة وهندسية في النسيج التقليدي نقلاً لفكرة الساحات الغربية التي تتلاءم مع متطلباتهم الوظيفية والاجتماعية والبيئية وغير الملائمة للمدينة التقليدية .

ان حصول ذلك نتيجة ان الكثير من عمليات التصميم الحالية في المدن التقليدية قد حدثت على اساس المنفعة والافادة قصيرة الامد بدلاً من نظرية الفائدة طويلة الامد ، وبذلك فقدت المدينة التواصل مع هويتها وشخصيتها المميزة التي كانت تتميز بها ، وفقدت المدينة التقليدية الحالية التوافق والترابط العضوي بين اجزائها المختلفة ، وهذا ايضاً انعكس على الحياة الاجتماعية في المدينة واصبحت المدينة اليوم جميلة بمبانيها المنفردة الذاتية على امتداد نسيجها التقليدي الذي اسهم في تأكيد تمزيق النسيج التقليدي في حين ان جمال المدينة التقليدي يأتي من تفاعلها مع الناس وترابط مبانيها والكثافة البصرية العالية والتماسك العالي بين مكوناتها على مستوى المخطط وعلى مستوى الكتل البنائية بعضها مع البعض ، ويلعب المبنى الواحد في خلق شخصية الجزء والكل في آن واحد ، وهكذا غاب عن المدن العربية التقليدية اليوم الانسجام والتكامل بين ذاتية المبنى الواحد وتشكيل المدينة العمراني كله . (خالد ، 1985 ، ص43)

من هذا كله فان تحولات المدينة العربية التقليدية اليوم اتجهت من التحول العضوي المنسجم مع طبيعتها وجوهرها التخطيطي الى التخطيط الشبكي عن طريق تكوينها الفضائي وشوارعها وتوزيع المباني فيها مما سبب افتقار المناطق الى التدرج في خصوصية فضاءاتها وضعف القدرة على ايجاد فضاءات مميزة .

*** الاسباب التي دعت الى التحولات :**

هناك ثلاثة عوامل أدت إلى ظهور المدينة المعاصرة والتحول من الانموذج التقليدي الى المعاصر وهي على وفق الآتي :-

- المفاهيم والأفكار لدى المعمار :-

هناك موقفان في العالم العربي يقودان اعادة تكوين البيئة العمرانية الجديدة أولهما (موقف التقليديين) الذين يقرون بشرعية الماضي وبأنه الدليل الوحيد الذي يمكن الأخذ به لتشكيل الحاضر وموقف كهذا لا يمكن أن يؤدي إلا إلى عزلة المجتمع عن واقعه المعاصر ، وبذلك يصبح الموقف العام من الماضي تقليد (محاكاة) له

ليس إلا ، ولا يرفض دعاة هذا الاتجاه وانصاره استعمال التقنية الحديثة (المستوردة) فذلك ضرورة للمجتمع شريطة إفراغ وتجريد تلك التقنية من مضامينها الثقافية كافة التي نشأت فيها .

أما الموقف الثاني فهو (موقف الرافضين) فلا يقفون عند إنكارهم شرعية التقاليد فحسب بل انهم لا يقرون بأصالتها ومصداقيتها بوصفها مصدراً للحاضر ، فهم ينظرون إلى التقاليد على انها عنصر يعيق التقدم فهم يعتقدون أن النهج الوحيد لصحوة المجتمع وتقدمه هو عن طريق محو كل شيء تقليدي وتجاهله والبدء من نقطة الصفر وبناء على ذلك يضطر المجتمع الى اللجوء الى استيراد ما أمكن من الأفكار والتقنيات من الثقافات الاخرى . (صالح ، 1994 ، ص241)

فالموقفان يتفقان على نقطة واحدة الا وهي رغبتهما في استعمال التقنية الحديثة في مجتمعاتهم وكلاهما متطرف في طرحه ومرفوض في فكرته .

أن محاولة الدمج بين الموقفين هو الاصح على أن يكون التقليد بشكل تحليل واستلهام من الماضي بدلاً من الاستنساخ والمحاكاة المباشرة وتستعمل التقنية الحديثة بشكل لا يسئ إلى الموروث (أي اتخاذ صفة الوسطية العقلانية والرصانة) .

- التقنية والتكنولوجيا :-

ويتمثل العامل الثاني الذي سهل الانسياق وراء البيئة العمرانية المعاصرة وهجر البيئة التقليدية في التغيرات التي طرأت على طبيعة التقنية وحجم التنمية العمرانية . إذ أن التقنية الحديثة وفرت الإمكانات و الخيارات المختلفة لتصبح تحت إمكانية المهندس المعماري وتصرفه وان طريقة التعامل مع هذه الإمكانات هي التي حددت مقدار الإفادة منها ، أو مقدار الآثار السلبية التي خلفتها ، فاستعمال تقنيات البناء و المواد الحديثة قد فتح آفاقاً جديدة في البناء فظهرت المباني ذات الارتفاعات العالية ولكن من دون مراعاة المقياس الإنساني ومقدار تقبل نسيج المدينة العمراني لهذا النوع من المباني ، ودراسة علاقتها مع الفضاءات المحيطة. (لمياء ، 2000 ، ص53)

فادى ذلك الى اختلال في توازن البيئة التقليدية للمدينة المحلية باستيراد قيم ومبادئ جديدة غريبة عن المجتمع العربي فضلاً عن ظهور وظائف جديدة واختلاف في استعمالات الأرض وتعدد في الحرف وطرق الإنشاء ومواد الإنشاء القديمة والجديدة . والمصمم العقلاني هو الذي يعمل على ادخال التقنية الجديدة ضمن نفس اصول القيم الراهنة للنسيج القديم .

- قضايا العمارة والتحضر :-

ان هذا العامل قد شجع وعمل بشكل أو بآخر على تعزيز استمرار وتوطد نمو البيئة العمرانية المعاصرة التي تتعلق بالعمارة والتحضر على المستويين الفكري والتطبيقي فمجال الدراسات العمرانية جاء نتيجة تطور العلوم الإنسانية المعاصرة التي تأسست ونمت على مبادئ التحضر في الغرب إذ نرى أن في أية دراسة للمدن الإسلامية أو أية مدينة من مدن العالم الثالث لا تزال تأخذ أنموذج نشوء المدينة الغربية وتطورها منطلقاً لها إلا ما ندر .

كما أن الانتقال التام الى الدراسات التحليلية للمدينة العربية الإسلامية ساعد على توطيد ذلك الاتجاه فضلاً عن التقنية الحديثة والأفكار والتوجهات السياسية . (صالح ، 1994 ، 243–244)

ان الاسفادة من التجارب الغربية في العمارة والتخطيط ، وكذلك التجارب العربية السابقة بما يلائم المفاهيم الاسلامية (اعتماد الدين الاسلامي مصدراً للفكر) والبيئة الطبيعية للخروج بعمارة ذات روح متواصلة مع الماضي والحاضر .

ومن ذلك كله فان التحولات هي تغيرات ضمن تكوين معين يخلق علاقات جديدة بين عناصر التكوين (الموجود اصلاً) ، ويعد التحول التقليدي او التحول بالاستعارة من الاستراتيجيات المهمة التي يمكن اتباعها عند التحول . وان التحولات التي حصلت في المدينة العربية ادت الى فقدان وضوح التوجيه للتكوين الفضائي وفقدان خصائص المدينة التقليدية .

خلاصة المحور الاول

ان القوى المشكلة للخصائص المتغيرة في المراحل التعاقبية للمدن المقدسة تركت اثراً واضحاً في تشكيلة البنية العمرانية ، وهي كمثل (المحرك) الدائمي الذي يتقدم بالبنية وينقلها من مرحلة إلى أخرى ، فكل تكامل في البنية العمرانية يتبعه تداعياً وانحلالاً فيها ، وفي كل الحالات لابد من وجود تحول وتغير في تركيبة البنية مع (الزمن) تمثل هذه المتغيرات آلية هذا التحول وهذه المتغيرات هي:

أ– القوى الخارجية : وهي:

* القوى السياسية : فنلاحظ ان هذه القوى قد شكلت عاملاً حساساً في تشكيل بنية المدينة ، وكانت العامل المهيمن في المراحل التي مرت بها المدن التقليدية العراقية ، فتوالي السلطات والقوى السياسية المتنوعة الأجناس والأصول على حكم المدينة ولكل من هذه القوى تأثيرها في تركيبها وبنيتها ، منها ايجابي ساهم في أعمارها ومنها ما هو سلبي ساهم في تخريبها .

* القوى التقنية : لقد كان لدخول التقنيات الحديثة في المدينة أثرها الواضح في تغيرها وفي كافة المراحل التي مرت بها فدخول (المركبة) داخل المدينة غير الكثير من المعالم العمرانية والعلاقات الشكلية ، كما ان دخول مواد البناء الجديدة قد ساهم في تغير تقنيات البناء وبالتالي البنية العمرانية التي انعكست على المدينة عموماً ، فضلاً عن متطلبات العيش المعاصر .

ب–**القوى الداخلية** : وهي قوى (اجتماعية–اقتصادية): فكل مجتمع له خصوصيته وان المجتمع المشكل لمدينة النجف في المرحلة الأولى ليس هو في المرحلة المعاصرة حيث شهدت تغيرات كثيرة في التقاليد ، مع ثبات (الدين الإسلامي وقيمه وتقاليده) .

المحور الثاني :

المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف

*** الموقع النشأة الاولى :**

تقع مدينة النجف على الحدود الجنوبية للصحراء الغربية في العراق وعلى بعد (10كم) الى الغرب من نهر الفرات ، وتبتعد (160كم) الى الجنوب الغربي من مدينة بغداد و (78كم) شرق مدينة كربلاء.

فهي تقع بين خطي عرض (31–32) وخطي طول (44–45) وموضعها الجغرافي يتمثل بربوة مرتفعة تطل من الجنوب الغربي على منخفض بحر النجف وتطل من جهتي الشمال الشرقي على فضاء فسيح تشغله مقبرة وادي السلام اما من جهة الغرب فالصحراء الغربية في حين تمتد الى الشرق من المدينة اراضٍ زراعية باتجاه الكوفة . (احمد سوسة ، 1945 ، ص265)

هذا الموقع الجغرافي أكسب المدينة مناخاً قارياً صحراوياً قاسياً انعكس لاحقاً على نمط تخطيط المدينة وعمارتها فضلاً عن ان موقعها هذا جعلها مفتوحة على الصحراء بعيدة عن الحواجز ومعرضة للهجمات مما اضطر سكانها الى تسويرها عبر مراحلها المختلفة . (الشكل 1)

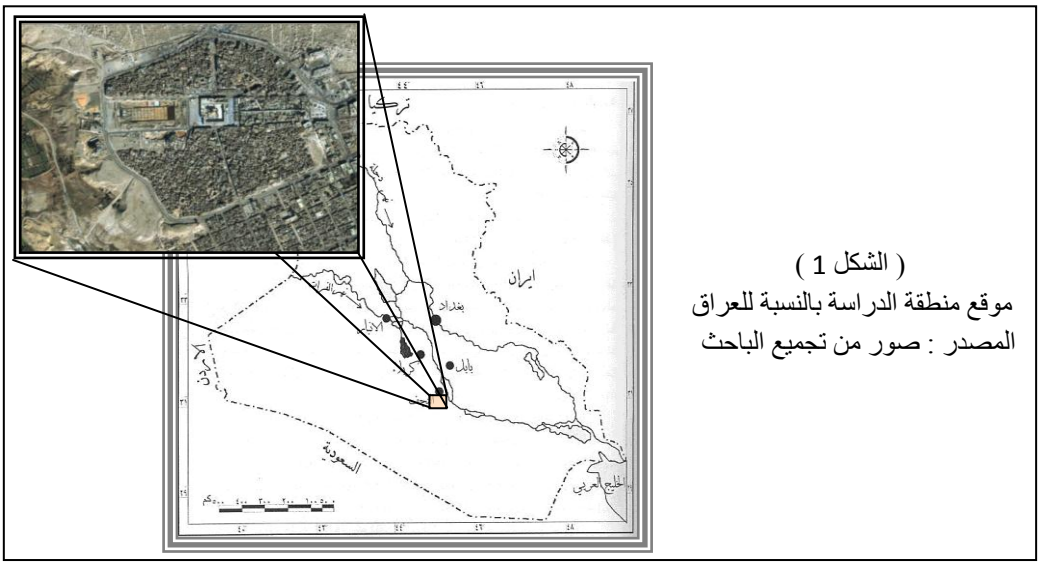

(الشكل 1)
موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق
المصدر : صور من تجميع الباحث

*** اثر عوامل البيئة في تكوين النسيج الحضري لمدينة النجف :**

تختلف طبيعة تشكيل هذا النسيج وصياغة اشكال المباني والفضاءات الحضرية باختلاف البيئة الحضرية التي تنمو فيها المدينة ، وتنقسم هذه البيئة قسمين :

- البيئة الطبيعية : وهي ثابتة على مر الزمن المعاصر للمدينة .
- البيئة الثقافية : وهي متغيرة على مر العصور بسبب عوامل هي :
  - تأثير العقيدة الدين الاسلامي .
  - تأثير الجوانب الاجتماعية .
  - العادات والتقاليد .
  - العامل الاقتصادي .
  - العامل السياسي .

- التكنولوجيا ومواد البناء .

فالتكون الشكلي والفضائي للنسيج الحضري لمدينة النجف لم يكن نتيجة تخطيط مسبق ولا عفوية بل جاء نتيجة طبيعية لتفاعل الانسان مع بيئته الثقافية والطبيعية ، وهذه النتيجة هي عصارة تجارب وممارسات كان للزمان والمكان أثر اساسي في بلورتها ، مما اعطى للنسيج الحضري خصوصياته ومميزاته ، ويمثل الدين الاسلامي العامل (من بين العوامل البيئة الثقافية) في التأثير والتفاعل مع العوامل البيئة الطبيعية لتشكيل النسيج الحضري والتكوين الفضائي لمدينة النجف ، بينما بقية العوامل تؤثربدرجات متفاوتة لتعزيز العامل الاساسي .

ان الهيكل الحضري في مدينة النجف القديمة يتحدد اساساً بتأثير القيم الدينية والمبادئ والقيم الاخلاقية والروحية التي انبثقت مباشرة من الايمان بالاسلام ، ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق اقامة المؤسسات والمدارس الدينية التي يحتاجها الدين الاسلامي التي تعُد محور الحياة اليومية وفعاليتها الروحية والاجتماعية والاقتصادية بشكل انعكس على اسلوب تخطيط مدينة النجف الاشرف وتوزيع استعمالات الارض ونظام الحركة فيها وهي التي تنظم بنمط يؤكد على اهمية موقع هذه المؤسسات . (حيدر ، 2005)

فعلى مستوى النسيج الحضري لمدينة النجف القديمة ينعكس اثر عوامل البيئة الطبيعية على شكل هذا النسيج الذي يظهر على شكل نسيج متداخل كثيف متلاحم وذلك بتكاثف وتجميع الابنية وتراصها بحيث لايتعرض لاشعة الشمس المباشرة الا اقل مساحة ممكنة من الواجهات والسطوح . وهكذا نجد ان نسيج مدينة النجف القديمة يتميز بتداخل الكتل الصلبة ذات السطوح المستوية والفتحات القليلة والصغيرة الى الخارج .

ومن المعالجات المناخية التي ميزت مدينة النجف هو اللجوء الى الانخفاض الى المستويات دون مستوى الارض ببناء السراديب التي تقلل من اكتساب الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة ، مما ادى الى تغيير في التنظيم الشكلي والتداخل الفضائي للابنية المكونة لنسيج المدينة . كما ان استعمال المعالجات المعمارية الاخرى كملاقف الهواء (البادكيرات) التي اتخذت اشكالاً جمالية وايقاعية وبكتل هندسية بارزة ، ميزت خط سماء مدينة النجف وساعدت في تلطيف المناخ داخل المسكن عن طريق جلب الهواء وتلطيفه وادخاله الى السرداب . وفي النجف توجد انواع من السراديب وهي كالآتي :- (الحاج ، 1948)

1- السراديب الارضية الموجودة في اغلب الدور ، معدل عمقها ستة امتار تقريباً .
2- سراديب السن (الهصهاص) ومعدل عمقها عشرة امتار .
3- سراديب سن (القرض) ومعدل عمقها خمسة عشر متراً .
4- سراديب رأس الطار ومعدل عمقها خمسة وعشرون متراً ، وهذا النوع قليل جداً وبارد جداً .

لقد امتاز النسيج العمراني المحيط بالمرقد بنسيج عضوي مترابط ترابطاً دقيقاً إذ ينتقل الانسان ضمن هذا النسيج في الازقة الضيقة التي تعطي المقياس الانساني المطلوب ، فان هذا الانتقال يحقق مبدأ الشد والجذب بين الزائر والمرقد ، إذ يشاهد القباب والمنائر بين تارة واخرى داخل الزقاق ، وعندما يصل الى المرقد فانه يدخل

الفضاء الواسع (الصحن) للمرقد ليتفاجئ بهذا الفضاء الواسع ، وهنا يشعر الانسان بالخشوع والتقوى اللازمة والضرورية للاماكن المقدسة .*

ومن ذلك كله نستخلص الآتي :-

- لقد تعرضت الفضاءات المحيطة بالمرقد المقدس الى ممارسات تصميمية وتخطيطية احدثت تغييرات جوهرية في تكوينها الحضري تمثلت في ازالة المناطق المحيطة بالمرقد (التي تمثل مركز التكوين) وعزلها عن محيطها الحضري بما يتناقض والمبدأ الذي صممت على اساسه . فضلاً عن ماسببته هذه الممارسات من خسارة فادحة للنسيج التراثي وخصائصه الحضرية والعديد من الابنية ذات القيم التاريخية ، فانها خلقت مشاكل جديدة تمثلت في توليد جذب المزيد من حركة السيارات حول المرقد ، فاحدثت تلوثاً بصرياً وبيئياً يتنافى مع المكانة الدينية والروحية لهذا المرقد . كما ان قرار الازالة هذا ادى الى التقليل من هيمنة فضاء الصحن على تكوين المدينة الفضائي العام وغياب عنصر المفاجأة من الصحن . ولم يقتصر الضرر على ذلك فحسب ، اذ ان واجهات اسوار المرقد كشفت الى الخارج مما دعا التعامل معها بوصفها ابنية نصبية وهو اقتباس للمفهوم الغربي ، مما استدعى المزيد من الهدم وخلق فضاءات واسعة لاستيعاب الواجهات الجديدة بشكل اوضح . ان ازالة هذه المناطق المحيطة بالمرقد تعدّ خسارة كبيرة للمدينة القديمة كما ان عزل هذا المرقد عن اطاره الحضري المتميز وجعله شاخصاً منفرداً في الفضاء يمكن رؤيته من الجهات جميعها مما افقده خصائصه التقليدية والمبادئ الاساسية التي صمم لها اصلاً .
- ان احدى مشاكل بيئة المدينة تنبع من الحالة الرديئة للابنية المحيطة بالمرقد ذات الطرز المعمارية الغريبة التي لا تتعاطف مع خصائص المنطقة وهويتها المحلية ولا تأخذ بالحسبان القيمة المعمارية المتفردة للروضة الحيدرية الشريفة ، مما اضعف من هيمنة المرقد على تكوين المدينة الفضائي . (الشكل 2)

(الشكل2)
صور توضح الابنية المحيطة بالمرقد الشريف المتمثلة بالفنادق ذوات الطرز المعمارية الهجينة عن هوية المدينة
المصدر : الباحث

* لغرض الاستزادة بالمعلومات في هذا المجال راجع المصدر حيدر ، 1971 .

*** مشاريع التطوير والدراسات التي طرأت على مدينة النجف القديمة :**

منذ ان بدأت المدينة تتعرض لضغوط التغير لم تجر ايه محاولة جدية ومتكاملة لتطوير المدينة . فقد ادى شق الشوارع في جسم المدينة عام (1954 م) وقبله هدم السور من قبل السلطات البلدية عام (1938 م) ادى كل ذلك الى حدوث اضرار في التكوين الفضائي الحضري للمدينة واعطى فرصة لتغيير المناطق التاريخية على جانبي هذه الطرق الى استعمالات تجارية اكثر ربحاً .

وكذلك ازالة النسيج المحيط بالمرقد ومعاملته كبناء منفصل والتعاطي مع جدرانه الخارجية كواجهة ، وبعد ذلك جاءت المقترحات التطويرية المتمثلة بمشاريع مدينة الزائرين ومركز الخدمات السياحية التي تم تخصيص موقعاً لها ضمن النسيج التقليدي للمدينة ، مما استدعى ازالة مساحات واسعة من هذا النسيج لتوفير المتطلبات المكانية للمشروعين في كل من محلة العمارة ومحلة الحويش .

وكذلك الانتهاء من المراحل التمهيدية للتصميم المعماري المقترح في مركز مدينة النجف التقليدية والذي يقترح تحويل منطقة مدينة الزائرين الى صحون تابعة الى المرقد الشريف وكذلك ايجاد صحن يحيط بالروضة الحيدرية على مسافة (60م) من كل جهاته ، وكذلك ازالة المنطقة الواقعة بين ساحة الامام علي (ع) (ساحة الميدان) والروضة الحيدرية (المتمثلة بمنطقة السوق الكبير) والمقترح انشاء صحن واسع مفتوح من جهة ساحة الامام علي (ع) يحده سوقان كبيران موازيان للصحن الجديد .

ويلاحظ من كل ذلك عدم وجود سياسة حفاظ وتطوير شاملة لعموم المركز التأريخي لمدينة النجف فلم تجري اي محاولة جدية ومتكاملة لتطوير المدينة .

اما اهم المحاولات في هذا الاتجاه هي :

– الدراسات العمرانية والتخطيطية التي جرت على مدينة النجف :

جرت للمدينة عدة دراسات تطويرية وهذه الدراسات هي :

- **دراسة مؤسسة دوكسيادس 1956 :**

ان التقرير الذي خرجت به هذه الدراسة لاينم عن ادراك لطبيعة التخطيط التقليدي ولأهمية التأريخية والتراثية لمركز مدينة النجف التأريخي او لطبيعة النسيج الحضري المتضام . اذ يذكر ان الاحوال البيئية السيئة الناتجة عن الكثافات العالية للسكان والازدحام ونقص الخدمات والفعاليات الاجتماعية لايمكن تحسينها الا باجراءات جذرية (Radical) ويتضمن ذلك ازالة مالايقل عن (50%) من مساكنها وتحسين الباقي . (IRAQ , 1958 , P.76-83)

لقد خلا التقرير من اي اشارة الى ضرورة وضع سياسة حفاظ على الابنية ذات القيمة المعمارية والتأريخية الكبيرة او الحفاظ على الشخصية الحضرية للمدينة وهويتها المحلية كما اقترح شق المزيد من الطرق لحل مشاكل المرور وتدفق الزوار .

دراسة هيئة التخطيط العمراني عام 1979 :

في عام (1979 م) تم اعداد التصميم الاساسي الثاني لمدينة النجف الكبرى من قبل هيئة التخطيط العمراني حيث جرى تحويل مقترحات التصميم الاول المعد من قبل شركة (Doxiadis) . وقد وقع هذا التقرير في نفس اخطاء التقرير السابق إذ لم يتعرض التصميم الى حل مشاكل نسيج المدينة الحضري التقليدي ولم يؤكد على الحفاظ على خصائصها الحضرية المميزة . الا انه اقترح عدة مشاريع لاعادة التطوير لقطاعات من المدينة القديمة وهذه المشاريع هي : المركز التجاري ومدينة الزائرين ، ومركز الخدمات السياحية ، مشروع توسعة دورة الصحن باربعة اتجاهات وبمسافة (60م) والمدينة السياحية في منخفض بحر النجف . (جمهورية العراق ، 1987 ، ص12–13)

ان دراسة مؤسسة دوكسيادس في عام (1956 م) وكذلك الدراسة التكميلية لها من قبل هيئة التخطيط لعام (1979 م) تدل على عدم امتلاك هذه الجهات روح الفهم للقيم الراهنة التي حملتها هذه المدينة العريقة....واستناداً الى ذلك اتجهت نحو ابسط الطرق في حل مشكلة تحرك الزائرين وزيادة اعدادهم ومشاكل تردي الحالة الانشائية للمعالم الآثارية ، فاعطت الحق لنفسها بهدم المعالم الآثارية وتوسيع الشوارع وشق الشوارع الجديدة واستخدام كل مفردة تعمل على ازالة تاريخ امتنا الاسلامية عموماً والتاريخ العظيم لعمارتنا العراقية خصوصاً .

- **دراسة المديرية العامة للتخطيط العمراني عام 1986 :**

حيث قامت المديرية باعداد دراسة لتطوير مدينة النجف يشمل المركز التأريخي ومحلاته الجديدة (الاولى والثانية والثلمة والشوافع) والمقبرة الكبرى . وقد تضمنت هذه الدراسة عدة جوانب حيث تطرقت الى الخصائص المميزة للمدينة وعناصرها الحضرية الواجب الحفاظ عليها وابرازها هيمنة المرقد الشريف على تكوين المدينة الفضائي ، والحفاظ على الابنية ذات القيمة المعمارية والتأريخية واهمية الحركة والوصول في المدينة ، والنقص في اعداد مواقف المركبات فضلاً عن مقترحات لتحويل بعض الطرق الى ممرات سابلة ومنع مرور المركبات فيها كما تطرقت الدراسة الى ضرورة تعديل التصميم الاساسي للمدينة ليتلائم مع مشاريع التطوير المقترحة للمدينة والتي ينبغي ان تكون مترابطة مع بعضها البعض ومع هيكلية المدينة بصورة عامة .

غير ان ذلك لم يمنع الدراسة من الوقوع في بعض الاخطاء والتناقضات كان اهمها توسيع دورة الصحن لمسافة (60م) والذي يؤدي الى ازالة (40م) تقريباً من طول محور السوق الكبير فضلاً عن المزيد من عمليات الازالة والتهديم للنسيج التقليدي ، وخلق فضاءات حضرية تنافس فضاء الصحن وتؤدي الى اضعاف تأثيره وهيمنته . (جمهوية العراق ، 1987 ، ص14)

وبذلك تكون الدراسة قد ناقضت توجهها الاول الذي كان ينصب على التأكيد على خصائص المدينة التقليدية المميزة والحرص على المحافظة على هوية المدينة العربية الاسلامية .

– مشاريع التطوير المنفذة والمطروحة[773] حالياً وآثارها السلبية على المدينة :

مرت المدينة بعدة تحولات تطويرية في الآونة الاخيرة بعضها منفذ والبعض الآخر قيد الدراسة والبحث وهذه المشاريع هي :

أ- نبذة عن مشاريع التطوير :

أ-1. مشروع مدينة الزائرين

اعتمدت التصاميم التي أقرت في هذه المرحلة على خلق فضاء وسطي واسع (على امتداد المساحة المخصصة لانشاء مدينة الزائرين) خالقة بذلك محور بصري يربط المرقد الشريف بمنخفض بحر النجف حيث الموقع المخصص لمشروع المدينة السياحية .

وان المشروع عبارة عن شريطين من الابنية على شكل صناديق مثقبة تتوسطها مسقفات تعمل كاواوين موحدة باعمدة وبشكل محوري متوجه نحو المرقد الشريف ، وهي اشكال مجردة ليس لها اي انتمائية الى التراث وقيم مدينة النجف القديمة . اما ما ذكر عن الجهة المصممة حول تقسيم القواعد المربعة للسقيفة الوسطية الى ثلاثة اقسام ترتفع مكونة اشكال تحمل ايحاء لاشكال الخيم تجسيداً للماضي ... . (الشكل 3)

نؤكد ان لاعلاقة لاشكال الخيم بمقومات واصول العمائر في مدينة النجف التاريخية والحضرة الحيدرية الشريفة .

ان التناقض الكبير مع طبيعة النسيج التقليدي للمدينة يعطي للمرقد مسحة تصميمية غريبة مشابهة لاسلوب التعامل مع النصب والكنائس في اوربا .

فضلاً عن ذلك فان هذا الفضاء الواسع سوف يعمد الى تقليل واضعاف هيمنة فضاء الصحن على الهيكلية الفضائية للمدينة .

كما ان الفنادق غريبة في تصميمها مقحمة في اشكالها ومفرداتها ، كما ان ارتفاعات الكتل البنائية للمشروع عالية الارتفاع سوف تشوه خط سماء المدينة التقليدية وتسهم في اضعاف هيمنة قبة ومآذن المرقد على خط السماء ، فضلاً عن هدفها الاقتصادي الصرف والذي سيحول مدينة النجف القديمة الى ساحة للاكتساب المادي والصراع التجاري .. (وتحذر اللجنة التخصصية) من استكمال هذه المشاريع التي ستؤدي الى موت مدينة النجف القديمة وانهاء صلتها بالماضي .* (تقرير 2005 ، ص11)

جاء هذا المشروع على حساب ازاحة جزء من النسيج التقليدي وعدد من البيوت واماكن التراثية فضلاً عن عدم وجود ربط بين النسيج التقليدي للمدينة وبين التصميم اذ يظهر المشروع وكأنه كتل بنائية فرضت في داخل المدينة القديمة .

ان قرارات الازالة سابقة الذكر (هدم المنطقة المحاذية للمرقد من جهة محلة العمارة والجهة المقابلة لمحلة الحويش) ترتب عليها الطعنة القاتلة لهذه المدينة التاريخية لاغراض التطوير ، وفتح متنفس كبير داخل المدينة

* لجنة متخصصة من اساتذة معماريين ومخططين من جامعة بغداد والجامعة التكنولوجية وجامعة النهرين ، قدمت تقريراً حول الوضع الراهن لمدينة النجف (غير منشور) 2005 .

القديمة الذي بدأ ينافس صحن المرقد الشريف الذي كان يمثل مركز التكوين العمراني للمدينة القديمة . وهكذا عزل المرقد الشريف عن محيطه العمراني . وفصله عن النسيج التقليدي وفقد قيمته التاريخية والاثارية والانسانية ، فضلاً عن هذا وذاك ان ازالة محلة العمارة لوحدها لغرض بناء مدينة الزائرين قد هدمت ما يقارب خمسين مدرسة ومسجد وحسينية ومقبرة ومعلم تراثي (نذكر منها دار الملا ، ودار الموسوي ، ومدرسة الخليلي ... الخ من المعالم الآثارية) .

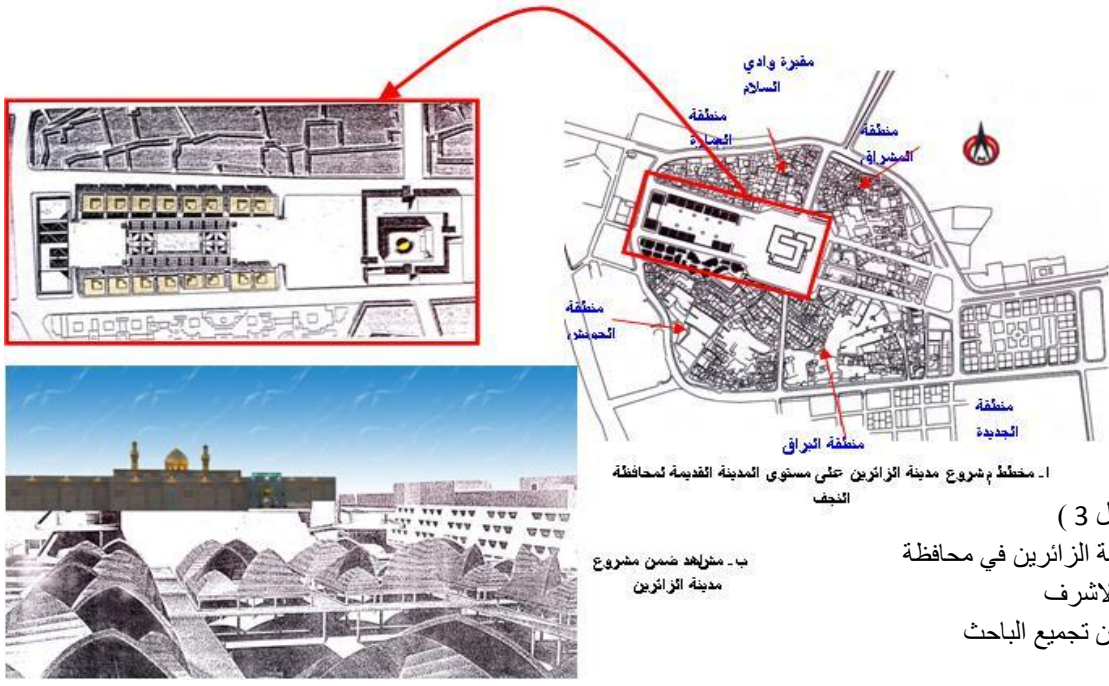

(الشكل 3)
المقترح التصميمي لمدينة الزائرين في محافظة النجف الاشرف
المصدر : صور من تجميع الباحث

ا-2. مقترح مشروع (رؤوف الانصاري ، 2007) تطوير مركز مدينة النجف الاشرف وتوسعة الروضة الحيدرية :

تطرح الدراسة المقدمة عن المشروع نبذة عن واقع المدينة التي يوضح فيها المهندس الاستشاري بان النظام البائد قد ألحق ضرراً كبيراً ببنية مدينة النجف معمارياً وتخطيطياً (من خلال تهديمه لمساحات واسعة في مركز المدينة ، ثم تطرق الى اهمية المرقد بالنسبة الى المدينة وكذلك الى عدد الزوار الذين يؤمونها يومياً (المقدر حوالي (3-4) ملايين زائر في المناسبات الدينية) ، وكذلك انتقدت الدراسة التهديم الذي اصاب المدينة من جهة منطقة العمارة والحويش بحجة توسيع هذه المنطقة وتطويرها من دون وضع دراسة علمية لاعادة تصميمها .

وكذلك اكدت الدراسة على النسيج العمراني للمدينة والتشويه الذي الحق بالمناطق المحيطة بالروضة الحيدرية وان غياب الحلول والمعالجات الصحيحة ادى الى فقدان هذه المدينة المقدسة للعديد من معالمها الاسلامية المميزة . ويبين من هذا الطرح ان الاستشاري ضد مسألة تهديم مساحات حول مرقد الامام بسبب تمزيقه للنسيج الحضري .

وفي نهاية المقدمة (المعطاة في الدراسة) تؤكد الدراسة على اهمية الحفاظ على هذه المعالم المعمارية والنسيج العمراني للمدينة بسبب كونه يعطي للمدينة هويتها المحافظة . ويؤكد الاستشاري في حديثه عن المدينة باهمية السوق القديم (السوق الكبير) من الناحية الاقتصادية بالمدينة واعتباره محوراً لحركة المشاة الرئيسية المؤدية الى الروضة الحيدرية المطهرة ويعتبره علامة مميزة لمدينة النجف الاشرف.

بعد ان بدات الدراسة بايراد نبذة بسيطة عن الاعمال التي حصلت في المدينة خلال مراحل تاريخية مختلفة منوهة بذلك ضمناً عن امكانية لتغيير ملامح المدينة كلما دعت الحاجة لذلك ، ما دامت وراءه نوايا حسنة من شأنها تطوير الطاقة الاستيعابية للمدينة من الزوار (التي تمثل المشكلة الاساس في نظر الاستشاري) ... ومن هنا جاء تأكيد المشرف على المشروع باعادة تخطيط مركز مدينة النجف الاشرف لاعادة احياء الشخصية العمرانية التاريخية لمركز المدينة التراثي من خلال الاهداف الآتية :

- الحفاظ قدر الامكان على المعالم التاريخية والدينية للمدينة القديمة .
- التأكيد على تكامل وترابط الابنية الجديدة المقترحة مع الروضة الحيدرية .
- ضمان استمرارية حركة المشاة باتجاه الروضة بكل سهولة ويسر .
- التأكيد على الهوية الثقافية والدينية للمدينة واحياء رصيدها التراثي الاصيل .

وبعدها تنتقل الدراسة الى الخطوط المقترحة للتطوير العمراني لمركز المدينة والتي تقسم حسب الدراسة الى : (الشكل 4)

(أ) المنطقة المحيطة بالروضة الحيدرية الشريفة .

(ب) المنطقة المحصورة بين شارعي الامام الصادق والامام زين العابدين (ع) والممتدة من ساحة الامام علي (ع) او (ساحة الميدان) الى الروضة الحيدرية والتي تشمل ايضاً السوق الكبير .

(جـ) المنطقة الممتدة من الروضة الحيدرية الى الجهة المطلة على بحر النجف والتي تسمى حالياً بمدينة الزائرين او منطقة العمارة سابقاً .

ونظراً للكم الهائل من الزوار المتوافدين يومياً الى هذه المدينة ترتئي الدراسة ايجاد سوقين كبيرين على جانبي الصحن المقترح الممتد من ساحة الامام علي (ع) الى الروضة الحيدرية ويكون السوقين ملاصقين للصحن . ان الهدف من بناء هذين السوقين (حسب قول الاستشاري) هو احياء وتكريم السوق الكبير الذي سيتم هدمه بسبب التشويه العمراني الذي اصابه في نهايات القرن العشرين بالبلوك الاسمنتي وصفائح الجينكو والذي يغلق المشهد البصري عن مرقد الامام علي (ع) الذي يجب ان يكون العنصر المهيمن والاهم في مدينة النجف الاشرف .

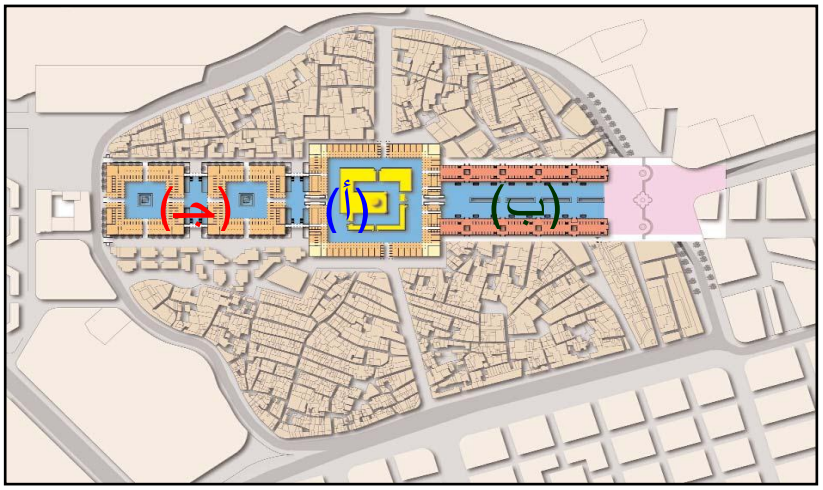

(الشكل 4)
المقترح التصميمي لمدينة النجف القديمة الذي أعدهُ الدكتور رؤوف الانصاري
المصدر : د. رؤوف محمد علي الانصاري ، 2007 ، ص20

وتعد دراسة التطوير هذه انها قد احيت السوق الكبير بانشاء سوقين جديدين تكريماً لذلك السوق الذي سيتم هدمه والاشارة اليه عن طريق هذين السوقين الجديدين !!!

*** المشاكل التصميمية والتخطيطية التي ظهرت من خلال مشاريع التطوير المقترحة :**

كان الموروث الحضري لمدينة النجف والى حد قريب اكبر واغنى تراث في المدن التقليدية في العراق الا انه تعرض وبشكل مستمر الى الفقدان بشكل سريع ولازال الخطر قائماً من فقدان اكبر . ومن اهم العوامل التي ادت الى تمزق النسيج الحضري في المدينة هي :

- شق الشوارع المستقيمة وبشكل متعسف ودون دراسة للخصائص الفضائية التركيبية لنظام الحركة السابق والذي يمكن تطويره دون هذه العمليات وقد ادى ذلك الى تهشيم الكيان وتجزئته الى اجزاء متفرقة تفتقر الى الوحدة والترابط الاجتماعي والعمراني .
- ازالة المناطق المحيطة بالصحن الشريف والتي كانت تمتد حتى جدار الصحن من جهاته الاربع . (الشكل 5)
- ازالة اجزاء كبيرة من النسيج الحضري وخاصة في محلة العمارة ذات التراث الغني لاغراض مشروع مدينة الزائرين ومن محلة الحويش لاغراض مشروع مركز الخدمات السياحية .
- استكمال المراحل التمهيدية لمشروع التصميم الاساسي الجديد لمدينة النجف القديمة الذي سيزيل واحد من اهم معالمها الاثرية القائمة وهو السوق الكبير المسقف الذي يتجاوز عمره المئتي عام ، فضلاً عن الدور والمنازل القريبة من الصحن والتي تمتاز بعمارة نجفية خاصة لايعرفها الا من عاش بين جدرانها . (رؤوف ، 2007)
- كما ساهمت عوامل اخرى في هذا التمزق من بينها انعدام الصيانة داخل ازقة المدينة ومبانيها .

ويعتبر تمزق النسيج الحضري من اخطر المشاكل التي تعاني منها المدينة واكثرها تهديداً لشخصية المدينة الحضرية لانه ادى :-

(1) فصل المرقد عن اطاره الحضري (Urban context) .
(2) فقدان خصائص التنظيم الفضائي الشمولي والموضعي المميز للمدينة .
(3) تمزق النسيج الاجتماعي المرادف للنسيج العمراني .
(4) فقدان العديد من الابنية ذات القيمة المعمارية والتاريخية .
(5) التلوث البيئي والبصري الناتج عن دخول المركبات وعلى نطاق واسع الى قلب المركز التاريخي.

ولذلك ينبغي ترميم النسيج الكلي ومعالجة التمزقات وملئ الفجوات وصولاً الى استعادة كيان المدينة الاصلي .

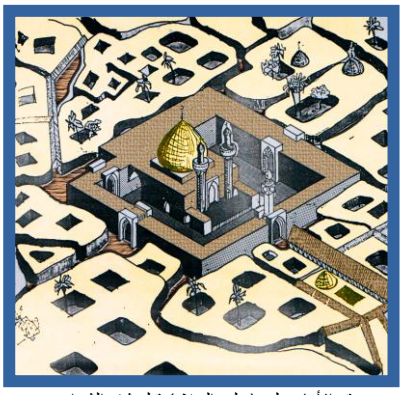

مرقد الأمام علي (عليه السلام) قبل شق الشوارع يلاحظ تضام النسيج و احتضانه للمرقد الشريف و يلاحظ بوضوح هيمنة المرقد بهيئته الروحية و المادية على المدينة

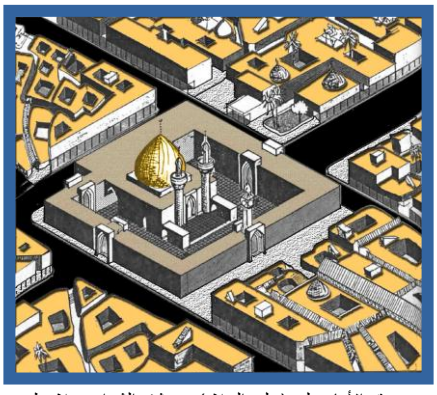

مرقد الأمام علي (عليه السلام) بعد شق الشوارع يلاحظ تفكك النسيج مبتعدا عن المرقد الشريف بشكل غير متعارف عليه في المدن الإسلامية

(الشكل 5)
شكل يوضح اثر شق الشوارع حول مرقد الامام الامر الذي احدث تحولات في بنية المدينة التقليدية
المصدر : الباحث

*** الموقف من مقترح مشروع تطوير مركز مدينة النجف الاشرف المقدم عام 2007 :**

ان الغاية الكبرى من مناقشة هذا المشروع هو كيفية الحفاظ على ما تبقى من الموروث وعدم التفريط به ، نحن ليس بيدنا القرار ، ولكن باستطاعتنا ان نوجه المشروع نحو المسلك الصحيح واعطاء الايجابيات والسلبيات قبل ان يتحول من الورق الى الواقع .

ان المبررات التي قدمتها الجهات المعنية بالمشروع ضعيفة جداً مقابل جسامة العمل المقترف بحق هذا الصرح التاريخي . حيث ان استيعاب عدد الزائرين المتزايد وكون المنطقة تعاني من اهمال بسبب ضعف الخدمات المقدمة اليها ....، وان الغاية من توفير اسواق حديثة ومكان للزائرين غاية نبيلة ولكن لاتكون على حساب هذا التراث الحضاري .

ان العمل ضمن نسيج حضري تاريخي له من التميز والقدسية يتطلب الحذر والانتباه الى نقاط عديدة اهمها هيمنة الشواخص التاريخية في المنطقة ، والحفاظ على الهوية المتميزة لمدينة النجف الاشرف ، فضلاً عن ابراز البعد الزماني والمكاني للمبنى الجديد الذي بصدد الانشاء بدون المساس بتلك الهوية .

وان دراسة مشروع المقترح التطويري تثير عدة نقاط تستوجب الوقوف عندها ومناقشتها . والتي سيتم ايرادها هنا حسب تسلسل ورودها في الدراسة التي نحن بصددها :

اولاً : فيما يخص الروضة الحيدرية :-

ان مقترح ايجاد صحن واسع يحيط بالروضة الحيدرية من جهاتها الاربعة (وعلى مسافة (60م) من كل جهة) قد عولج باسلوب حجب ملامح الصحن الاساسي بالكامل مما يحتاج الى اعادة نظر في الربط بين هذا الصحن الاساسي دون ان يحجب رؤية الاخير من محاور الحركة الرئيسية المؤدية اليه . (الشكل 6)

ان عملية استنساخ الواجهات الرئيسة للصحن وتعميمها على كافة الابنية الجديدة المقامة من توسعة الصحن الى الاسواق ، قد تؤثر بشكل سلبي على هيمنة الروضة الحيدرية من خلال طرازها المعماري المتفرد في المنطقة فضلاً ان هذا الاستنساخ المباشر يعد تزويراً ساذجاً للقيم التراثية فهو لايحترم الفرق الزماني بين الاصل والتحديث ، وبهذا يفقد المبنى شيئاً كبيراً من اصالته ومصداقيته التاريخية . (الشكل 7)

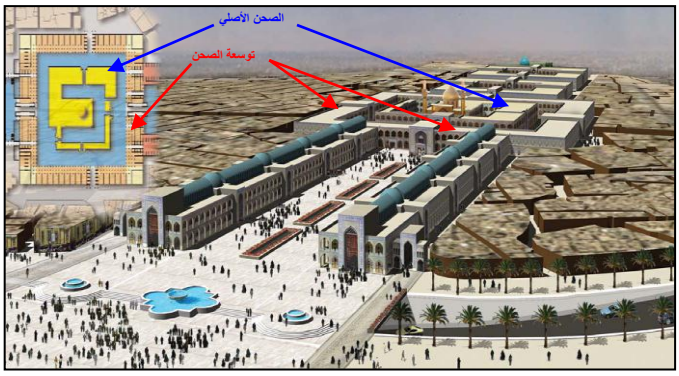

(الشكل 6)
يوضح حجب الصحن المقترح لملامح الصحن الحيدري الشريف بالكامل
المصدر : الباحث استناداً الى ... د. رؤوف محمد علي الانصاري ، 2007 ، ص20

تفاصيل الاواوين في جميع فضاءات المشروع الجديد

تفاصيل الاواوين في الحرم الحيدري الشريف

(الشكل 7)
استنساخ واجهات الصحن الحيدري الشريف وتعميمها على ابنية المشروع الجديد كافة
المصدر : صور من تجميع الباحث الباحث

كما ان الصحن المقترح الممتد من ساحة الامام علي (ع) الى الروضة المطهرة واقتراح تسقيف جزء منه برواق عريض يحمي الزوار في الشتاء والصيف ويوفر الخدمات للزوار حسب ما جاءت به الدراسة ، في الحقيقة ان هذه المساحة لاتفي حاجة (3-4 ملايين زائر في المستقبل) من الخدمات والمتطلبات التي يجب ان توفر اليهم وان عملية حماية الزائرين من الشمس بهذه الطريقة بالنسبة لهذه المساحة المحددة غير مجدية وهي لاترتبط بهوية مدينة النجف (اي عمارة دخيلة على المدينة) . وان خلق هذا الصحن الكبير في وسط المدينة القديمة (وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه مشروع مدينة الزائرين) . كما ان الانفتاح الكبير جداً المقترح عمله في منطقة السوق ومجاوراته ، مزق ما تبقى من النسيج الحضري للمدينة وهو اسلوب غريب على المدن العربية التقليدية ، مما جعل اسلوب التعامل مع المرقد مشابه لاسلوب التعامل مع مرقد (الامام الرضا (ع)) في مدينة اصفهان في ايران ، مما افقد المدينة هويتها كمدينة عربية عراقية نجفية .(الشكل 8)

يوضح الشكل (4) الفصل الواضح في النسيج وكأنه قسم المدينة القديمة الى نصفين ، وعلى الرغم من محاولة المشروع الجديد في ربط الابنية الجديدة مع الروضة الحيدرية ولكن بالمقابل زادت من عزلتها عن

المناطق المحيطة بها (التقليدية) ، وكأنه اقام جدار عازل بين الضريح والمدينة القديمة .

(الشكل 8)
اسلوب الانفتاح الكبير للمشروع الجديد بالتعامل مع المرقد وهو مشابه لاسلوب المتبع مع المرقد والجوامع في اصفهان ، وهو اسلوب هجين في التعامل مع الرموز في المدينة
المصدر : الباحث استناداً الى ... د. رؤوف محمد علي الانصاري ، 2007 ، ص19

ان هذا الاسلوب سيؤدي الى طمس هوية المدينة وهو بازالة اكبر معلم (Land mark) في المدينة بعد المرقد الشريف المتمثل بالسوق الكبير .

ثانياً : فيما يخص الاسواق الجديدة المقترحة في مركز المدينة :-

تشير الجهة المصممة كما اشرنا سابقاً الى تكريم واحياء السوق الكبير المقترح ازالته ! من خلال ايجاد سوقين كبيرين على جانبي الصحن المقترح ، فاذا كان المصمم يعتقد باهمية هذا السوق وبانه يستحق التكريم والاحياء فلماذا يتخذ قراراً بهدمه ؟ ، واذا لم يكن هذا السوق بتلك الاهمية فما الحاجة الى تكريمه على نحو يُفرض على التصميم الجديد ؟ فهو هنا يهدم ويبني نصباً تذكارياً للعنصر المهدم ، ما العبرة من التهديم والتكريم بعدها ؟!

اشارة الدراسة المقدمة ان احدى الاسباب المهمة لازالة السوق الكبير هو التشويه الذي اصابه في العقدين الاخيرة من القرن الماضي . ان السبب الذي طرحته الدراسة لتهديم السوق الكبير والمنطقة المحيطة به ليس سبباً مقنعاً لإزالة هذا المعلم النجفي . لان التشويه الذي اصابه في مرحلة معينة يعبر عن مرحلة ما مر بها السوق ولكن اثره ومعالمه وتاريخه باقٍ الى حد الآن . وان وجود السوق في هذا المكان ليس وليد مرحلة قريبة وانما وجد مع وجود المدينة ونشؤها اي قبل مائتي سنة . وان ازالته بهذا الشكل يعتبر تخريب بحق المدينة المقدسة . وان تكريمه بهذان السوقان يعتبر تشويه لهوية المدينة النجفية ولعمارتها المتميزة . أليس من الافضل ان يتم اعادة بناء السوق الكبير كما كان في سابق عهده ، من ان يتم هدمه نهائياً .

ان عملية التطوير المذكورة تستهدف ازالة المنطقة باكملها التي من شأنها تغيير الطبيعة العمرانية للمدينة فضلاً عن تغيير نمط الحركة داخلها . وهذا تجاوز سافر على المدينة القديمة تضاف الى التجاوزات التي حصلت للمدينة منذ تهديم سور المدينة وشق الشوارع الاسفلتية داخلها .

فضلاً عن ان الاسواق الحديثة المقترح انشاؤها تؤثر على هيمنة الروضة الحيدرية والبعد التاريخي لها وهويتها المحلية وذلك من عدة نواحي :

- الانفتاح الكبير غير المدروس لمنطقة السوق الكبير والذي مزق النسيج الحضري وغير قوى التوازن للنسيج .
- ارتفاع نسب الكتل المستعملة وخاصة المداخل .
- استنساخ بوابة الصحن واستعمالها بشكل مبالغ فيه (في المباني المخصصة لتوسعة الصحن والاسواق) مما افقدها تميزها .

ان الاستخدام المبالغ لمثل هذه التفاصيل يفقدها قيمتها الجمالية وقدرتها على جذب انتباه الزائر ويكون مبعثاً للملل .

وفي هذه المرحلة يطرح الاستشاري رأيه عن السوق الكبير بانه يغلق المشهد البصري عن مرقد الامام (ع) وهو بطابقين ، فهو يعود ويبني سوقاً يثلاث طوابق ولن يحجب الرؤيا ؟

ومن خلال ملاحظة المنظور الخاص بمداخل الاسواق الحديثة نجد ان ارتفاعها مقارب لارتفاع القبة الحيدرية المطهرة وبارتفاع سور الصحن الحيدري الحالي ، وبهذا يظهر لنا انه فقط من منطقة المحور الطولي يستطيع الزائر ان يرى قبة الامام ومنارته ، اما اذا كان في جانبي المحور الطولي فانه لن يستطيع رؤية أي شي. (الشكل 9)

بعد ازالة المعالم العمرانية للمنطقة (المتمثلة بالسوق الكبير) والذي تعترف الدراسة ذاتها باهميته التاريخية ، هل يكفي هذان السوقان للتعريف بتاريخ السوق الكبير وهل سيفي هذا الحل بمتطلبات الاجيال اللاحقة التي لها الحق في التعرف وامتلاك هذا الموروث الحضاري والتاريخي ؟!!

(الشكل 9)
شكل يوضح ارتفاع الابنية المقترحة بالنسبة الى المرقد وسور المرقد الشريف
المصدر : الباحث استناداً الى ... د. رؤوف محمد علي الانصاري ، 2007 ، ص19

ثالثاً : فيما يخص تطوير الجهة الغربية من المرقد (مدينة الزائرين) :-

تقترح الجهة المصممة ايجاد صحنين واسعين يكونان امتداداً طبيعياً لصحن الروضة الحيدرية .

ان ادخال هذا المقترح ضمن مشروع التطوير

صفة ايجابية لاستعادة جزءاً من لمحة النسيج التقليدي الذي بدأ يتفكك بسبب مشاريع التطوير التي مرت على المدينة وكذلك التأكيد على روحية المدينة الديني الانساني .

ولكن جاء تصميم هذين الصحنين واسعين اشبه ما يكون بالكتل المزروعة وسط النسيج العضوي والتي صممت على اساس انها امتداد للصحن الحيدري الشريف ، فهي مبالغ في حجمها ، وشكلها وبالتالي ستضيع هيمنة الصحن الحيدري على مستوى المدينة القديمة . (الشكل 10)

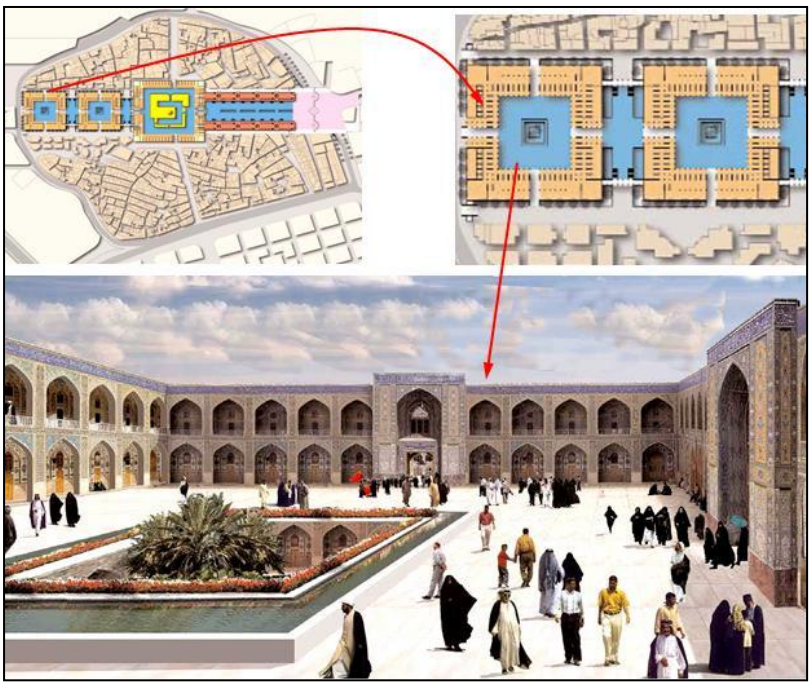

(الشكل 10)
الصحون المقترحة في المشروع الجديد الواقعة في منطقة العمارة بدل مشروع مدينة الزائرين
المصدر : الباحث استناداً الى ... د. رؤوف محمد علي الانصاري ، 2007 ، ص19

خلاصة المحور الثاني

ان حالة التدهور والتداعي الذي بلغته مدينة النجف القديمة أدت الى تهديد الرصيد الهائل من الموروث الحضاري والخصائص المتفردة بالأندثار والزوال والذي يعود جانب منه في العديد من الحالات الى أقتباس المفاهيم الأساسية الغربية (إذ أصبحت الغربية مرادفة للتطور) وأقحامها بشكل قسري ومتعسف دون تحسس وادراك لطبيعة النسيج الحضري وخصائص التكوين الفضائي لتلك المدينة والتي تبلورت عبر قرون عدة من الزمن ، كما كان للممارسات الخاطئة من قبل الجهات والهيئات التصميمية و التخطيطية دور كبير في التأثير السلبي على النسيج الحضري وتمزيق وحدته واضمحلال خصائصه ولقد أدت عملية أزالة مساحات واسعة من النسيج الحضري لمدينة النجف القديمة تحت ذرائع وتبريرات مختلفة الى فقدان العديد من الشواخص والرموز المعمارية ذات القيم التاريخية والمعالم التراثية او عزلها عن محيطها وفقدان ترابطها بأطارها الحضري الذي أرتبطت به عبر حقب طويلة ففقدت بذلك الكثير من دلالاتها ومعانيها وجعلتها في وضع لم تكن مصممه له أساساً على الأطلاق ، وحلت محلها خلال زمن قصير أنماطاً غربية لا تنسجم مع الواقع شكلاً ومضموناً (يمكن ان تناسب أي مدينة في العالم) وتهدد بتحول المدينة القديمة الى نسخ مشوهة من المدن الغربية . الا انه يمكن القول بأن الفرصة لم تفت بعد للحفاظ على أصالة تكوينها وخصائصها المميزة واستمرارها في الحياة والتواصل الحضاري ، وذلك لأنها تعد تراثاً وكنزاً حضارياً لكونها جزءاً من الماضي الذي نعتز به . وإن الأعتزاز بالأصالة والرغبة بالحفاظ على الأرث الحضاري العريق ليس كافياً بل يتطلب الأمر تظافر كل الجهود كما يتطلب اتخاذ الإجراءات الفعالة من خلال وضع ضوابط و محددات عمرانية وتخطيطية قانونية للسيطرة

على ما يحدث في المدينة القديمة من تحول ، إن السيطرة المطلوبة في هذه المدينة لا يعني بأي حال من الأحوال منع وإخماد التطوير ، إذ إن أبقاء هذه المدينة على واقع حالها سيؤدي إلى اضمحلالها وإخلائها حتى من سكانها .

*** الاستنتاجات**

– يجب ان لاتكون التحولات العمرانية في سياساتها المختلفة استنساخاً للماضي لان هذا هو الجمود الحضاري ، وان لايكون تقليداً للغرب ينقصه الشخصية العربية الاسلامية والطابع المحلي ، وانما يكون توظيفاً للتكنولوجيا الحديثة والاستفادة من التراث لتكوين شخصية جديدة تحكي قصة هذا الجيل وللاجيال القادمة .

- لقد ادت التحولات الكبيرة في التكوين العمراني لمدينة النجف القديمة الى تقليل التفاعل بين السكان والبيئة العمرانية وبالتالي تشتت المجتمع ، حيث لاتوجد في المدينة فضاءات مليئة بالحياة العامة ، فقد فقدت فضاءاتها كل معانيها ودلالاتها ومقياسها الانساني ، واصبحت الطرق المخصصة لحركة المركبات هي المظهر الطاغي على تكوين المدينة فافقدتها شخصيتها واصالتها للقيم المادية على القيم الانسانية والمعنوية والروابط الاجتماعية ، وشملت هذه التحولات الانسان المعاصر الذي بدت نظرته سطحية باهتة لمنظر المدينة. واصبحت المدينة الجميلة في نظره تتكون من مجموعة مباني متفردة وجميلة ولكنها بعيدة عن تكامل التكوين العمراني لعموم المدينة .

– ان التعامل مع الشواخص الدينية الموجودة كابنية نصبية هو اقتباس للمفهوم الغربي في التعامل مع النصب ، مما سيفقدها وظيفتها الروحية ويفكك النسيج المتضام ويبعدها عن اعطاء مشاعر روح السماء وتجسيد افكار الاسلام فيها . خصوصاً وان الهيكل العمراني لمدينة النجف القديمة يتحدد اساساً بتأثير القيم الدينية والمبادئ والقيم الاخلاقية والروحية التي انبثقت مباشرة من الايمان بالاسلام ووجهاء النجف الاشرف وعلمائها التي تذكر الازقة الموجودة لحد الآن تحركاتهم ووقع خطواتهم .

– ان الخصائص المتفردة من النسيج التقليدي لمدينة النجف القديمة وعناصر التكوين الاساسية لهيكلها العمراني هي استجابة لتفاعل عوامل عديدة (عوامل البيئة الثقافية ، وعوامل البيئة الطبيعية) التي لازالت معظمها قائمة ومؤثرة لحد الآن ، وليس هناك مبرر لاقحام انظمة عمرانية غريبة تؤدي الى الاخلال بالتوازن القائم بين محتوى البيئة العمرانية ومكوناتها المتفردة .

لاسيما وان الأنماط العمرانية التقليدية ليست عاجزة عن أستيعاب التطور المعاصر اذا تهيأت لها أسباب التخطيط العلمي الدقيق لكي تحافظ المدينة على رونقها وهويتها النجفية .

– على المشاريع التطويرية ان تعمل على زيادة اللحمة في نسيج المدينة المتمزق وان يكون هدفها هو ان يزور الزائر الحياة التقليدية ثم المدارس الدينية وصولاً الى المرقد حيث يعمل على تحويل زيارة

– النسيج الى جزء من الزيارة الاساسية للمرقد مما يعمق من تقدير التراث وارتباطه بالاصالة . وعلى ان ينظر للمدينة على انها محمية عالمية لايحق لأحد ان يتلاعب بقيمها ودلالاتها التراثية .

المصادر

- المصادر الاجنبية

- Anthony , C. Antoniades , **" Poetics of Architecture – theory of design "** , Professional . Reference , and Trade Group 605 , Third Avenue , New York , 1996 .
- Iraq , Ministry of Planning , Development Board , Doxiadis Associates Consulting Engineer's **, " The Future of Najaf &Kufa "** , 1958 .

- المصادر العربية

- احمد سوسة ، " **وادي الفرات ومشروع سدة الهندية** " ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1945 .
- الحاج عبد الحسن شلاش ، " **ابار النجف ومجاريها** " ، النجف الاشرف ، مطبعة النجف ، نشر عام 1948 .
- تقرير اللجنة التخصصية " **حول مشروع توسعة الحرم الحيدري الشريف في النجف الاشرف** " ، تقرير غير منشور ، عام 2005 .
- جمهورية العراق ، وزارة الحكم المحلي ، المديرية العامة للتخطيط العمراني ، قسم المناطق الوسطى ، " **مشروع تطوير مدينة النجف القديمة** " ، بغداد ، 1987 .
- حيدر عبد الرزاق كمونة ، " **المدينة وآثارها المعمارية** " ، مجلة سومر ، الهيئة العامة للاثار والتراث ، العدد 27 ، 1971 .
- حيدر عبد الرزاق كمونة ، " **سبل الحفاظ والتجديد الحضري لمدينة النجف القديمة** " ، المؤتمر العلمي الرابع للمعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2005 .
- حيدر عبد الرزاق كمونة ، " **التغير في خصوصية المدينة بين التراث والمعاصرة** " ، بيت الحكمة ، مجلة الحكمة ، العدد 44 ، بغداد ، تموز ، 2007 .
- خالد السلطاني ، " **واقع العمارة المعاصرة في العراق** " ، وزارة الثقافة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، مجلة افاق عربية ، العدد9 ، بغداد ، 1985 .
- رؤوف محمد علي الانصاري ، " **مقترح مشورع تطوير مركز مدينة النجف الاشرف وتوسعة الروضة الحيدرية** " ، مجلة المهجر ، صادرة عن جمعية رعاية العراقيين ، المملكة المتحدة ، العدد 48 ، لندن ، حزيران ، 2007 .

1. صالح بن علي الهذلول ، " **المدينة العربية الاسلامية واثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية** " ، الطبعة الاولى ، دار السهن للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، 1994 .

- لمياء سليم الداهري ، " **الحد من اثر الفكر الغربي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية** " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، مركز التخطيط الحضري و الإقليمي للدراسات العليا ، بغداد ، 2000 .